Journal of Arabic
Language and Literature
Volume (1), Issue (2): 30 Mar 2022
P: 107 - 120

ISSN: 2790-7317

مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (2): 30 مارس 2022 م
ص: 107 - 120

The Modernization of Sa'lakaa and the Sa'lakaa of Modernity (Contemporary Poetry as a Model)

Jahad Feyzoleslam

Faculty of Literature || University of Tehran || Iran

Abstract: The phenomenon of misery and what results from it is a preoccupation for many researchers in different countries of the world, especially in societies and governments with bad economies, where the problem becomes more complex.

The research addresses the study of the contemporary and the current troubled era in the vision and thought of the poets who were ravaged by this phenomenon with its deadly storms and cyclones and the reflection of the distressed societies on their poetry and its impact on their souls and literary experiences, and then comparing this phenomenon with the troubled era of some past eras, including the tangible results of the ignorant era and its productive era. In societies with limited income, as well as in which misery and tyranny are rampant, this deadly beast draws the attention and attention of those concerned with human humanity. In fact, there has been a long debate about al- Salqa poetry and the value of studying this literary, social, and economic phenomenon and its feasibility on literature and poetry and its impact on human society, which calls for contemplation and careful consideration of its causes and causes and the treatment poets for it.

Keywords: Poetry, Modernity, misery, humanity.

عصرنة الصعلكة وصعلكة العصرنة (الشاعريّة المعاصرة أنموذجاً)

جهاد فيض الإسلام

كليّة الإلهيات || جامعة طهران || إيران

المستخلص: تُعد ظاهرة البؤس والتصعلك وما ينتج عنها الشغل الشاغل لكثير من الباحثين في بلدان العالم المختلفة وخصوصاً في المجتمعات والحكومات ذات الاقتصاد السيّء، حيث تزداد المشكلة تعقيداً، وفي الواقع ثارجدل طويل حول شعر الصعلكة وقيمة دراسته الأدبيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة وجدواها على الأدب والشعر وأثرها في المجتمعات البشريّة، وهذا الذي يدعو للتأمّل وإمعان النظر في عللها وأسبابها ومعالجة الأدباء والشعراء لها. إذن يتصدّى البحث لدراسة الصعلكة في رؤية وفكر الشعراء الذين عصفت بهم هذه الظاهرة، أيضاً تبلور المجتمعات الفقيرة في شعرهم وأثرها على نفوسهم وفي تجاربهم الأدبيّة، ومن ثمّ مقارنة هذه الظاهرة بصعلكة بعض العصور المنصرمة بما فيها العصر المبدع لها وأقصد به العصر الجاهلي، لتخرج الدراسة بنتائج ملموسة تلفت انظار وانتباه الجهات المعنية بإنسانية الإنسان في المجتمعات ذات الاقتصاد السيء والمحدود، وكذلك المجتمعات التي تتفشّى فيها هذه الظاهرة، أعني ظاهرة البؤس والفقر والحرمان، هذا الوحش المهلك.

الكلمات المفتاحيّة: العصرنة، البؤس، الصعلكة، الإنسانيّة، الأدب.

مقدمة.

يبدو أن صعلكة العصرنة باتت من أخطر المظاهر الاجتماعيّة التي تهدد البشريّة بل العالم برمّته، إذ في ظلّ ندرة فرص العمل وانتشار البطالة، تبرز مشاكل الفقر، والبؤس، والتصعلك وهذا الذي يؤكّد على حتميّة التغيير في المعيشة والاقتصاد.

لذا سيتناول المقال هذه المشكلة وهذه الظاهرة من مختلف جوانبها وأشكالها وموقف الأدب والشعر منها، وجولانها في فكر الشعراء وانعكاسها في الشعر العربي المعاصر وأثرها في نفوس أفراد المجتمع والشاعر نفسه، حيث تناولها بعضهم بنظرة ساخرة تعبّر عن الواقع المُزري لبعض المجتمعات، وتناولها البعض الآخر مهدياً النفوس وموصياً بسعة الصدر والتقوى، وقدم عدد من الشعراء بعض الحلول لمعالجة الصعلكة وذلك في مجاله الأدبي، معبراً عن إنسانيته من خلال اختصاصه ومشاركته المأساة متمنياً العلاج لذلك.

مشكلة البحث:

تتبّع الباحث مصادر الشعر المعاصر ليقف على بعض شعر الصعلكة فيه، وما اختلج في فكر الشاعر المعاصر، والخطرات والنزوات النفسيّة، التي تفجّرت في شعره وعلى اختلاف مشاربه، شدّة وضعفاً، من شاعر إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى.

فصعلكة شعراء المهجر كالقروي وأبي ماضي تختلف عن صعلكة عبد الحميد الديب، وهو يختلف عن أمل دنقل، ولا شك أن مصدر شاعريّة التصعلك عند كل شاعر، وعمقه وأثره والتجارب التي عَصَفت به، يرتبط بمقدار بصيرته، وتأمّله الماضي والحاضروالمستقبل، وحدّة ذكائه وفطنته، واستيعابه للأمور الّتي تحيط به. وبذلك تتحدد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

أسئلة الدراسة

1- لماذا هذا البحث، ماذا يعنينا موضوع صعلكة العصرنة وعصرنة الصعلكة، وما أهميّة الشعر المعاصر، أليست هذه المسألة أمراً اقتصادياً يهمّ الحكومات والأنظمة فحسب؟
2- ماذا يمكن أن يجنى من دراسة ظاهرة الصعلكة في الشعر المعاصر أدبيّاً وثقافيّاً وإنسانيّاً، وكيف يمكن دراسة ذلك؟
3- ما الذي يجعل من النص الأدبي سلّماً إنسانياً للحضارة البشريّة؟
4- كيف يحاول الأدب ارتقاء أخلاقيّات المجتمعات المعاصرة؟
5- ما جهود الشعراء في معالجة القضايا الساخنة ومن ضمنها تصعلك المجتمعات البشريّة؟

فرضيّات الدراسة

تفترض الدراسة:

1- صعلكة العصرنة هي نفس التصعلك في العصر الجاهلي
2- اختلاف شعراء التصعلك مع شعراء صعلكة الجاهلية في الشكل والمضمون الشعري

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الآتي:

1. التعرف على موضوع صعلكة العصرنة وعصرنة الصعلكة، وأهميّة الشعر المعاصر.
2. التعرف على أبعاد ظاهرة الصعلكة في الشعر المعاصر أدبيّاً وثقافيّاً وإنسانيّاً.

3. بيان كيفية محاولة الأدب ارتقاء أخلاقيّات المجتمعات المعاصرة.
4. جهود الشعراء في معالجة القضايا الساخنة ومن ضمنها تصعلك المجتمعات البشريّة.

أهميّة البحث

تكمن أهميّة الموضوع في ظاهرة البؤس والصعلكة حيث هي ظاهرة اجتماعية منذ قِدَمِ الزمان ومروراً بالعصر الجاهلي ووصولاً بالمجتمعات الثريّة والمتقدمة في الوقت الحاضر.

وهذا مما يثير التساؤل في كثير من الأذهان، وهو هل ظاهرة البؤس، والفقر، والتصعلك، هي نقص في الشخصّة التي يعاني منها الفرد لأسباب؟ أو هذه الظاهرة هي حاجة ماديّة مفروضة أو عارضيّة يتعرّض لها الفرد أوالمجتمع أحياناً وتزول حينما تنتهي تلك الحاجة؟

ولم نذهب جزافاً إذا قلنا، أن الشعر والشعراء شركاء الفرد والمجتمع في كل أحواله التي مرّ ويمرّ بها وذلك لأنّ الأدب تجربة البشر في العالم منذ البداية وإلى الآن لأنه يلتقط المشاعر والاحاسيس والعواطف التي جرتها السياسات والأنظمة على ذلك الفرد وعلى تلك المجتمعات، مستلهماً منها الخبرة والنّصح والقيم الأخلاقيّة والنبل الإنسانيّة.

أيضاً تنبُع أهميّة الدراسة من أهميّة ومكانة الإنسانيّة التي شرّف بها البشر، ومساهمة الأدباء والشعراء في نضج الفرد والمجتمع، بل نضج الحضارة الإنسانيّة، ومن هنا تتضح أهميّة الشعر والأدب، وهذا ما سيفضي إليه البحث من نتائج، ومنها:

1- دراسة ظاهرة الصعلكة المعاصرة في الشعر وفي نفسيّة الشاعر وفي المجتمع والتأمّل في بعدها الإنساني والأدبي.
2- تبيين أهم مضامين صعلكة العصرنة وعصرنة الصعلكة وتحليلها والتأمّل فيها.
3- التأمّل عند مكانة شاعر التصعلك وأثر هذه الظاهرة في الأدب المعاصر وأثرها في الحضارة البشريّة.
4- أيضاً دراسة ظاهرة الصعلكة ظاهرة ثقافيّة بإمتياز والثقافة هوية المجتمعات البشزيّة وتختلف باختلافها.

الدراسات السابقة:

كتب بعض الباحثين كالباحث نور الدين حسن جغفر ولديه موسوعة الصعاليك الصادرة عام 2007م، والباحث يوسف خليف حيث كبت الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، فالأول جاء بشكل عام والثاني في الشعرالجاهلي، ولذا الكلام عن البؤس والفقر وظاهرة الصعلكة في الشعر ليس أمراً جديداً، وعلى الرغم من تعدد الدراسات فيه بشكل عام، لكن فيما يخصّ دراسة "ظاهرة صعلكة العصرنة" في الشعرالعربي ما زالت ضعيفة جدّا، ولا شك أن البعض كتب في هذا الموضوع بشكل عام وكل من كتب فيه قد تناوله حسب رؤيته وذوقه، ولكن اتساع ظاهرة الصعلكة بإتساع تاريخ البشر، وهي معه ولعله ستبقى مع الإنسان إلى يوم القيامة، وأنا أيضاً تناولت موضوع الصعلكة حسب ذوقي وفكري ورؤيتي، وهدف الجميع خدمة الأدب والإنسانيّة قطعاً، ولذا أنا لست أدعي أنني قد أصبت في هذا البحث، ولم يسبقني أحد إليه، كل ما في الأمر أن الدراسة محاولة متواضعة للتأمّل في ظاهرة الصعلكة والمساهمة في هذا النوع من الدراسات الأدبيّة، حيث إن قضيّة الفقر والبؤس والتصعلك، تعدّ من أهم المشاكل في المجتمعات البشريّة.

منهج البحث.

للإجابة عن أسئلة الدراسة اتّبع الباحث المنهج التاريخي، النفسي، الاجتماعي، والتحليلي، ولم يغفل عن اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، إذ يتيح له القدرة على وصف أثر صعلكة العصرنة في المجتمع وتحليل دلالاتها، التي تزيده بمعلومات تمكّنه من اتخاذ القرار فيما يسفر عنه البحث من نتائج.

خطة البحث

بناء على هدف الدراسة فقد قسمتها إلى مقدمة، ومبحثين وخاتمة وعلى النحو الآتي:

- **المقدمة**، وتضمنت ما سبق.
- **المبحث الأوّل**: مفهوم وعلل وخصائص شعر البؤس والتصعلك في التراث الأدبي وتكون من المطالب التالية:
  - **المطلب الأوّل**: تحديد معنى الصعلكة
  - **المطلب الثاني**: ظاهرة الصعلكة
  - **المطلب الثالث**: فوارق الصعلكة في التراث
    - أولاً: المغامرة
    - ثانياً: السرعة
    - ثالثاً: الأنتماء
    - رابعاً: معايشة الوحوش
    - خامساً: االحذر والقوّة
    - سادساً: الجرأة
    - سابعاً: التحمّل
    - ثامناً: السخرية بالموت
- **المبحث الثاني**: الصعلكة في العصر الحديث والوقت الحاضر ومطالبه هي:
  - **المطلب الأوّل**: عصرنة البؤس واللا إنسانيّة
  - **المطلب الثاني**: اختلال المقاييس
  - **المطلب الثالث**: ثقافة التضاد
  - **المطلب الرابع**: لا فرق بين الموت والخياة
  - **المطلب الخامس**: كسرة خبز
  - **المطلب السادس**: الخصائص الفنيّة
- **الخاتمة**: **النتائج**، **التوصيات**، فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأوّل- مفهوم وعلل وخصائص شعر البؤس والتصعلك في التراث الأدبي.

المطلب الأوّل- تحديد معنى الصعلكة:

في العصر الجاهلي الصعلوك لغة هو الفقير الذي لا مال له كما في المنجد وغيره من كتب المعاجم، (ص425) وزاد عليها الأزهري في تهذيب اللغة ولا اعتماد (نورالدين، 2007م، ج1، ص11)، والحقيقة أن اصطلاح "اعتماد" مهم جداً، فهو يكشف عن طبيعة حال الصعاليك على أرض الواقع آنذاك، كما يؤكد على توجه الصعاليك، وعلى طريقة تفكيرهم التي تدل على مذهبهم في الحياة وفي الصعلكة، وهذا اللفظ "الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد" له دلالة هامة على إنتاج مفهوم الصعلكة، وجعلها بديلاً عن أيديولوجيا القبيلة ومنهج الرأسماليّة الجاهليّة لجمع الثروة، وتكوين ثقافة الصعاليك بدلاً من ثقافة التّرف والاستهلاك.

ويذهب الفيروز آبادي في القاموس (ص946) إلى أنهم "ذؤبان العرب" وهذا التعريف يدل على طبيعة أعمال الصعاليك والأنشطة التي يقومون بها، فهم بالتأكيد ذئاب على الظالمين وسارقي لقمة الفقراء (نورالدين، 2007، ج1،

صص11- 12). وقد حدد شوقي ضيف معنى الصعلوك لغة: بأنه الفقير الذي لايملك المال ما يعينه على تحمل مشاكل الحياة، (2007م، ص375) فبعض الصعاليك يرى الفقر أحد المثالب التي يؤنّب عليها الإنسان إذا لم يبذل جهده للرزق، فهذا أميرهم وأشرفهم عروة بن الورد قد أدرك أن ه لا مكانة للفقير في مجتمع يميّز بين طبقاته، فينال الغني مكانة مرموقة، أمّا الفقير فيصنّف مع الأشرار؛ لذلك أبى أن يكون فقيراً، فهو يسعى إلى تغيير حاله؛ كي ينال حظوة في مجتمعه إذ يقول: (عروة، 1998، ص58).

ذريني للغنى أسعى فإنّي **** رأيتُ الناس شرهمُ الفقيرُ
وأبعدهم وأهونهم عليهم **** وإن أمسى له حسب وخيرُ
ويلقى ذو الغنى وله جلال **** يكاد فؤاد صاحبه يطيرُ

فهكذا يصر على السعي لكسب الرزق والمال وذلك لأن المتكاسل لعلّه يُزدرى ويحقّر حتى من أقرب الناس إليه، ويصير عالة وثقلاً على أسرته وأقربائه، أذن فعليه أن يشمّر سواعده ويسعى لكسب معاشه ورغيف خبزه حتى لو واجه الموت يقول ابن الورد: (، 1998، ص65)

إذا المَرءُ لَم يَطلُب مَعاشــاً لِنَفسِهِ **** شَكا الفَقرَأَولامَ الصَديقَ فَأَكثَرا
وَصارَ عَلى الأَدنَينَ كَلّاً وَأَوشَكَت **** صِلاتُ ذَوي القُربى لَهُ أَن تَنَكَّرا
وَما طالِبُ الحاجاتِ مِن كُلِّ وِجهَةٍ **** مِنَ الناسِ إِلّا مَــن أَجَدَّ وَشَمَّرا
فَسِر فـي بِلادِ اللَهِ وَالتَمِسِ الغِنـى **** تَعِش ذا يَسارٍأَو تَمـوتَ فَتُعذَرا

المطلب الثاني- ظاهرة الصعلكة:

قسّم بعض الدارسين صعاليك عصر الجاهلي على ضربين: خامل وعامل: فالخامل هو الفقير الذي ارتضى لنفسه التسول والتطفّل على الناس. وأمّا العامل، فهو الذي خرج على الأعراف، وغَضِبَ على من حرموه، ولعلّ من أهم أسباب ظهور الصعلكة هو طبيعة الأرض، بنية المجتمع، وتفاوت طبقات المجتمع، فانقسام المجتمع إلى أثرياء وفقراء يحّرض المحرومين على التمرّد والطمع بمال الأثرياء والأغنياء- لأن الفقير يعتقد بهذا المال أنه جمع من ماله- ولذا كان الصعاليك يتخيرون الطرق التي يسلكها التجار، فينقضون انقضاض الصواعق عليهم (طليمات والأشقر، 1428هـ، ص270) وعلاج هذه الظاهرة هو متى ما استطاع المجتمع أن يزيل الفواصل الطبقيّة، معناه ساعد على تضعيف الصعلكة واقترب من العدل والعدالة.

وبعد مرور الزمان وعبر العصور خرج معنى الكلمة عن دلالتها اللغوية إلى اصطلاح جديد ذات مفهوم اجتماعي واسع، وظاهرة ثقافية، هي ضد الترف، والرأسمالية، والهيمنة الاقتصادية، فهذه الظاهرة تؤمن بالفقر ولكنّها ترفض في الوقت نفسه أن يكون الفقير معتمداً أو عالة على غيره، وهذا المعتقد لدى الصعاليك دفعهم إلى السلوك الصراعي، أي مصارعة الأغنياء فاتّخذ بعضهم من التمرد منهجاً؛ فجعل الغزو والإغارة وسيلة يشقُّ بها طريقه إلى الحياة، وفي الواقع هذه الظاهرة هي ردّت فعل لمجتمع خمدت فيه أضواء العدل والعدالة الجتماعية والفردية، وهذا بغض النظر عن صحة هذا السلوك.

المطلب الثالث- فوارق الصعلكة في التراث:

لقي شعر الصعاليك بعناية الدارسين والباحثين، وأخذ مكانته في الأدب الجاهلي وغيره، لأنّه شعر ذو سمات خاصة كاضطراب نسبة كثيرة من مقطّعاته إلى النحل، فقد ينسب بعضه إلى أكثر من شاعر، وأنّه مجموعة من القصائد والأراجيز والمقطوعات القصيرة. وأهم أغراضه هي تصوير الصعلكة بما فيها من تمرّد وتوعّد وتشريد وجوع ومن أهم مرتكزاته ومحاوره هي كالتالي:

أولاً- المغامرة:

المغامرة والمخاطرة تشكّل روح الصعلكة، "فإنهم خرجوا على المألوف ووضعوا لهم أعرافاً، وسنّوا لهم سنناً يتبعونها، فنظام حياتهم يختلف مع النظمة الأخرى كاتباع الفوضى، و في الحقيقة " أن جوهر حركة الصعلكة أنها رافضة متمردة على الواقع، إلى الأفضل، تطالب برفع الظلم ووقف الاعتداء على جمهور الفقراء وما أكثره، إنها دعوة من أجل إعادة توزيع الثروة، بحيث يستطيع كل إنسان أن يسد حاجاته اليوميّة، دون إذلال وامتهان وبيع ضمائر" (نور الدين، 2007، ج2، ص359).

ثانياً- السرعة:

حوّل الصعاليك بعض الأمور التي تعد سلباً في المجتمع إلى إيجاب وأحياناً إلى سلاح يستنجد به، ومنها العدو وسرعة الركض وقد برع فيها بعضهم، كالشنفرى وتأبط شرا والسليك وغيرهم حتى قال العرب في السرعة، أعدى من الشنفرى، وقد افتخر الصعاليك بذلك. ومن الخروج على المألوف عند الصعاليك هو اعتزازهم بالهرب، والمباهاة بسرعة العدو وذلك لأنّهم جوّالون لاحصون لهم ولا دروع.

ثالثاً- الإنتماء:

كان الصعاليك قد قطعوا أواصر القربى والإنتماء وتمردوا على الأنتماء الذي يشدّهم إلى قبائلهم وأسرهم، ولقد استطاعت الصعلكة أن تنسج لهم أواصر جديدة، تجمعهم فيها خيوط التّشرّد وانتماؤهم للجبال، واجتماعهم على مخالفة الأغنياء والأثرياء والطبقة المترفة، هذه الصفات التي كانت السبب الأساس لقرارهم كما بيّن لنا هذا عروة إذ قال: (عروة، 1998م، ص58)

وأهونهم وأحقرهم لديهم **** وإن أسى له حسب وخير
وتلقى ذا الغنى وله جلال **** يكاد فؤاد صاحبه يطير

رابعاً- معايشة الوحوش:

ومن المآثر التي يباهي بها الصعاليك، اختراق الفلوات ومعايشة الوحش وابتعادهم عن الناس، ومجابهة الموت وتفضيله على التكسّب واتسوّل، وهكذا أملت الصعلكة على أصحابها نمطاً من الأواصر وصنعت من الأضداد لهم فضائل. (طليمات، 2007، ج1، ص130، نقلاً مضمونيّاً)، قد نجد في شعر أكثر من شاعر من شعراء الصعلكة، حيث يقول الشنفرى: (2007م ص55- 56).

ولي دونكم أهلون سيد عملس **** وأرقد زهلول وعرفاء جيــأل
وكلّ أبــيّ باسِــلٌ غيرَ أن نـي **** إذا عرضت أولى الطّرَائِدِ أبسلُ

فالضواري والوحوش المفترسة كالذئب والنمر والضبع هو المفضّل عند الشاعر الصعلوك حتى لو كان القصد منه السخرية اللاذعة فهو المفضّل.

خامساً- الحذروالقوّة:

تكرر التباهي في ذكر بعض وسائل الصعاليك الماديّة في شعرهم ومن أهمها الحذر من العدو ومراقبة الفرص وسرعة العدو والركض للتخلص من الأعداء، وقد تبجّل في هذه الأشياء قاطبة الصعاليك، كما نلاحظه عند مالك بن الريب الشاعر الصعلوك فهو يجسد مصرعه حينما لا يجد من يبكي عليه ويندبه غير سيفه الذي عوّده قتال أعداء

الإنسانيّة، إذ لايوجد في الفلوات والجبال سوى الوحوش التي أنس بها وفضّلها على غيرها، يقول ابن الريب: (ابن قتيبة، 1984م، ص354)

تذكرت من يبكي عليّ فلم أجد **** سوى السيف والرمح الرديني باكيا

سادساً- الجرأة:

وأمّا أسلحة الصعاليك المعنويّة والنفسيّة فهي متنوعة ومنها الإرادة وقوّة الشخصيّة والشجاعة والجرأة والصلابة والتجلّد والصبر والحزم والعزيمة كما يبيّن هذا لنا الشاعر سعد بن ناشب وينشد قائلاً: (ابن قتيبة، 1967م، ص697).

إذا هــمّ لم تُردع عزيمةُ همّهِ **** ولم يأتِ ما يأتي من الأمرهائبا

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه **** وصمم تصميم السريجي ذي الأثر

سابعاً- التحمّل:

الصبروطول النفس وتحمّل قساوت الطبيعة والتأقلم معها وعدم الالتفات والتوجه إلى شدة حرها وبردها وجوعها وعطشها في سبيل الإباء وعدم تحمّل الذل والاستعباد والمنّ والتطوّل، الصمود في مقابل غطرسة المستكبر، هذا ما نجده في مخيلة الشنفرى الشعريّة، الذي أهل ما يسمّى الجوع حتى نسيه وكأنّه لا معدة لديه لكي يشعر بالجوع إذ يقول: (الشنفرى، 2007م، ص58).

أديم مطاوي الجوع حتى أميته **** واضرب عنه الذكرصفحاً فأذهل

واستف ترب الأرض كي لا يرى له **** عليّ من الطولِ امرؤ متطول

ثامناً- السخرية بالموت:

منشأ شجاعة الصعلوك عدم تعلقه بالدنيا وبالمناصب المغرية، فهو متأهب لا يبالي بالموت لأنّه لا يجد فرقاً كثيراً بين الموت وبين الحياة، وهذا ما أوجده له الظلمة الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ويظنون انهم يحسنون صنعاً، الذين زيّن لهم الشيطان قتل الأبرياء، فالصعلوك مكلّف بالدفاع عن النفس بما أمكنه ذلك وهذا ما يقوله الشنفرى: (1996م) م، ص66).

نحنُ الصّعالِيك الحُماةُ البُزّلُ **** إذا لَقِينــا لا نُــرى نُهلَلُ

وقريب من هذا المضمون قول الصعلوك عمرو بن براقة أيضاً، فهو لا يجد إلا الدفاع عن النفس في مواجة الظالمين لذا جمع بين القلب الجرئ والدفاع عن نفسه يقول: (الشنفري، 2007م، ص109).

متى تجمع القلبَ الذكيّ وصارماً **** وأنفاً أبيّاً تجتَنِبك المَظالِمُ

المبحث الثاني- الصعلكة في العصر الحديث والوقت الحاضر.

المطلب الأوّل- عصرنة البؤس واللانسانيّة:

وامّا مفهوم الصعلكة المعاصرة، فإنه قد يختلف كثيراً عن المفهوم الجاهلي للصعلكة فاتجهت القصائد في العصرنة نحو الشكوى والتذمّر من الفقر والتساؤل وذم البخل ونقد المجتمع المعني في آنٍ واحد، ولم تعد الصعلكة بمكان محدد كما كان في العصر الجاهلي، فانتشر الفقر في كلّ مدينة وبلد، وخيمّ البؤس والفقر في جانب والترَف والغنى الفاحش في الجانب الأخر، ولم يعرف هؤلاء الأغنياء قلب الملايين الجياع المبعثرة في أنحاء العالم.

المطلب الثاني- مشكلة المقاييس:

من أهم ما يلاحظ في الحضارة المعاصرة الاختلاف والاختلال في المقاييس والمعايير والتعامل بالكيل بمكيالين مع البؤساء والصعاليك، ولذا نرى الشاعر الأمريكي الأسود "لانجستون هيوز" يخاطب الفقراء والبؤساء وأكثرهم من العمّال، حيث لم يفرّق بين أسود وأبيض لأنهم شركاء في الإنسانيّة، وفي اعتقاده ليس مهمّاً لون البشرة ولا اللغة ولا الثروة ولذا يقول:

لست أنا فقط أعلم هذا الآن
بل الناس الفقراء المظلومون
من بيض ومن سود
عليهم أن يضعوا أيديهم في يدي
لنهُزَّ أعمدة المعابد
التي يسكنها آلهة مزيفون
وتقوم فيها مذابح باليّة
أحس الدفاع عنها،
ويسود أنحاءها حكم الجشع
الذي يجب أن ينتهي
أيّها العاملُ الأبيض هاك يدي
(بدوي، د. ت، ص30)، أيضاً أنظر (نور الدين، 2007، ص70).

يقول أحد الصعاليك لقد تمكّنت الرأسمالية وبالقمع والعنف والاستغلال من بناء العالم على مزاجها ومصالحها وعلى طريقها في جني الأرباح على جماجم الفقراء، وهكذا تتراكم تواريخ الأسى، العذاب، حينما يحرقون الإنسان والفكر والثقافة، ويشوّهون الفن ويفتحون سجلّاً آخر للتزوير والترف، في الوقت الذي يغلقون فيه الأبواب والنوافذ لأيّ إبداع (الرفاعي، 2000م، ص7- 12).

ولأجل هذه الأسباب، ولأسباب لا تعد ولا تحصى من هذا القبيل، في عصر قد صار الإنسان الغني والثري لم يكتف بجمع قوت الفقراء والبؤساء وذلك بفضل الإعلام المبرمج والظالم والمنحاز والقرارات والقوانين والأنظمة والتشريعات التي تمنح المحتكر والمستغل وأصحاب الأموال القذرة أكثر، والتي صارت اشبه بالأفلام الكاريكاتوريّة المثيرة للسخرية والغضب والاشمئزاز.

هذا من جهة ومن جهة أخرى الشاعر والأديب لا يخلق لغته وإنما بستقلها من المجتمع الذي يعيش فيه، (محي الدين، 2017، النت) فيرى الشاعر صعلكة العصرنة وعصرنة الصعلكة ليرسمها ويجسدها بعاطفته واحساسه وخياله الأدبي الذي لا يعرف إلا الإنسانيّة والمظلوميّة بأنواعها وأشكالها دون تمييز ويلمس هذا من سخرة الجواهري إذ يقول:

ما تشاؤون فاصنعوا **** لكم الأرضُ أجمعُ
لكمُ النـاس أكـتعُ **** مِن ذويهم وأبصعُ
خَوَلٌ عندكم، خُذوا **** مَن تشاؤونَ أودَعوا
مـا تشـاؤون فاصنعوا **** جوّعوهم لتشبعوا
ضيّقوا مـا استـطعتم **** من خناقٍ ووسّـعوا
(الجواهري، 1998، صص348- 350).

فمن هذا المنطلق سخر الشاعر بصعلكة العصرنة وبأصحاب الثروة، لا بل حتى بالأنظمة حيث يعتقد أن ها هي التي سببت البؤس والفقر لكثير من شعوب العالم، وفي الواقع قد صنعوا ولكنهم لم يفلحوا وقطعاً العاقبة للبؤساء والجيّاع وللصعاليك.

أن أعظم صعلكة هي التي تمارس ضد العدو الصهيوني، والأطفال هم صعاليك فتيانها والسود الذين يعانون ويكافحون ضد التمييز العنصري المعاصر، وكل فقراء وحفاة العالم الذين ينادون بالمساواة والعدالة وينتقدون منهج الكيل بمكيالين والتعصب لفريق ضد الآخر.

المطلب الثالث- ثقافة التضاد:

البعض يرى أن العالم بحاجة إلى صعاليك جدد، ذات فضاء فروسي، ملحميّة الطابع إنسانيّة الهدف (نور الدين، 2007، ج2، ص360). ولذا نجد الصعلكة عند الشاعر الفلسطيني أشد قسوة لأن الظلم تضاعف عليه، فواجه التشريد والتهجيروالبؤس والحرمان والفقر، كل ذلك يمارسه الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، لأنه لا يعرف معنى الإنسانية، ولكن صمود وصبر فقراء الشعب الفلسطيني ستكون النتيجة لها الوصول لأهدافهم وهذا ما يقوله مريد البرغوثي: (2013 م، ج2، ص630).

ومغالق الطرق التي انفتحت **** يرتادها البطل

والبادئون مسيرة الفقراء **** لابد أن يصلوا

وهذا هو صمود في مقابل ثقافة العدو الذي يتبجح بقتله الأبراء، يقول الشاعر الصهيوني يونثان غيفن بعد مجزرة صبرا وشاتيلا "إن والدتي قد بكت لأني لم أحضر لها رأس أحدهم، والدتي بكت لأنني لم أقتل المزيد" (الرفاعي، 2000م، ص137).

المطلب الرابع- لا فرق بين الحياة والموت:

فالفقر والبؤس أشبه شيء بالموت، الموت الجسدي، الموت النفسي، الموت الاجتماعي، موت الأمل والطموح المستقبلي، لأنه يقتل الحيويّة ويقتل النشاط البشري في شتّى المجالات والسبب لكثير من المشاكل الإنسانيّة، ولذا يتساءل الشاعر عبد العزيز المقالح هل الموت بكل أشكاله هو السبب للفقر أم الفقر هو السبب للموت؟ إذ يقول:

هل كان الموت طريق الفقر

أم كان الفقر طريق الموت

ثمّ يواصل قائلاً: لا فرق في ذلك وكأنه قد أشار إلى قول القائل: إذا سافر الفقر إلى مكانٍ ما، قال الكفر خذني معك إذ يقول:

الموت الفقر

الفقر الموت

من يسلبك اللقمة

يسلبك الروح

من ينزع عنك الثوب

ينزع عنك الجلد

(المقالح، 1986، صص600- 604).

وتبلغ ظاهرة الصعلكة والبؤس والفقر والتشرد ذروتها في أدب المهجر، فقد عانى أدباء المهجر أكثر من غيرهم، وذاقوا المرّ في سبيل الرّزق والعيش، والحرمان وقسوة الزمان وسوء الطالع والحظّ، حتى عمل بعضهم بائعا متجولا أو مارس أعمالاً دون شأنه ولا تتناسب ومستواهم الفكري والأدبي والاجتماعي.

ومن هؤلاء شاعر المهجر إلياس فرحات، حيث يصور لنا شقاء غربته سعيا وراء الرزق، فلا يحالفه الحظ، فإذا قصده غربا راح الحظّ يشرق، وإن قصد الشرق راح الحظّ يغرب، وقد عمل الشاعر في البرازيل بائعاً متجولاً يصف حاله والشقاء والؤس والصعلكة يقول: (نور الدين، 1428، ص377).

أغـرِّبُ خلفَ الــرّزقِ وهـوَ مُشَرِّقٌ **** وأقســمُ لـو شرَّقْتُ راحَ يغـرّبُ

حيــاةُ مشقـاتٍ ولـكن لبعـدهــا **** عـن الـذل تصفـو للأبيّ وتعـذِبُ

عمد الشاعر إلى الفاظ أغرّب- أشرق- مشقات، ومن خلالها حاول رسم الوجه للشقاء والبؤس ومحاربة الزمان له ومشاكسته إيّاه، فهو يشرق والحظّ يغرب، وحينما يغرب طالعه يشرّق، فالشاعر نقل البؤس والتصعلك نقلاً حرفيّاً دون محاولة تغيير، لذا نرى التشاؤم الذي طغى على النص للقصيدة، والسخرية من الحياة اليوميّة.

المطلب الخامس- كسرة خبز:

وأما الشاعر جوزف حرب قد شارك الصعاليك في الكثير من قصائده ومنها: قصيدة الغيم المهجور وقصيدة الصعاليك يفتحون العواصم، فهو في مجموعته الشعريّة كتاب الدمع لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الشاعر من ظاهرة الصعلكة، في رؤية جوزف البؤساء هم حفاة، ثيابهم ممزقة، ومشققة، فهم الفلاحون والكادحون، والفقراء والبائسون والجيّاع يقول: (جوزف حرب، 2002م، ص63).

صاروا قبوراً يخرجُ الأمواتُ منها

كم مرَّ فوق شفاههم غيم

ولم يمطر

ثمّ يتابع الشاعر حيث يرسم لوحات لأطباق الفقراء البؤساء، أصحاب النفوس الشريفة والعالية والعفّة والإباء قائلاً:

هو الفقر الذي لا كيس فيه **** ولا جرارَ ولا طبق

صاروا كلاماً، ليس يملك **** لا يراعاً أو دواة أو ورق

لم يبقَ من زاد النّهار **** بصحنهم إلا الغسق

(المصدر نفسه، ص71).

فالصعلوك حسب رؤية جوزف حرب لا يعرف الضيم والذلّ، فالفقير حتى لو أكل ولبس وشرب البؤس والشقاء والعناء فهو أبيّ صابر محتسب، لذا العدالة الاجتماعيّة هي الأساس للصلة بين الفرد والمجتمع.

المطلب السادس- الخصائص الفنيّة:

اتسمت حياة الشعراء الصعاليك بالقلق والاضطراب والسعي الدائم في سبيل اللقمة، فهم في حركة دائمة لا تهدأ، وتواصل مستمر مع الطبيعة، يكافحون ليعيشوا، وليعوّضوا عمّا خسروه بين قبائلهم، لذلك كانوا مستعجلين لتحقيق مآربهم، يقتنصون الرزق من مصدره برشاقة، يعدون بسرعة، هذا الكفاح الدائم، جعل لمحات شعرهم الفنيّة خاطفة سريعة، إذ لم يكن لديهم الوقت الكافي للتصبّر وإمعان الفكر في العمل الفنّي (نور الدين، 2007، ص615). كما يقول تأبّط شراً، حيث كان لديه شَعر رأس طويل ولم يسمح له الوقت للإعتناء به، وشغله الشاغل الغزو والإغارة. (الضبّي، 1920، ص15).

فذاك همّي وغزوي أستغيثُ به**** إذا استغثتُ بضافي الرأس نغّاق

إذ ليس العمل الفنّي والصنعة اللفظيّة والفنّة هدفاً عندهم لكي يهتموا بها، بل شغلهم الشاغل هي الإغارة والصعلكة، فهم مهتمون بإصال الفكرة والمضمون من خلال المقطعات والأراجيز والقصائد القصيرة الشعريّة إلى غيرهم. لذا ارى الشنفرى يوظف هذه الأمور الفنية كالتشبيه والاستارة والتجسيد والتشخيص لأغراضه الفنيّة بشكل بسيط يقول: (الشنفرى، 2007، ص58).

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّــى أميتَهُ **** وأضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ **** عَلَيَّ مِــنَ الطَّوْلِ امْــرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

صعاليك الجاهليّة خرجوا على المألوف والتقليد والأعراف وعلى الكثير من الموضوعات المتداولة في زمانهم إلّا أنهم لم يخرجوا على النظام اللغوي، بل أضافوا إليه الفاظاً ومفردات لغويّة كثيرة من البيئة التي اختاروها مأوىً لهم، ولذا لغتهم أقرب إلى الطبيعة الوحشيّة وإلى البيئة البدويّة من غيرهم من شعراء تلك الفترة.

ومن هذا المنطلق نجد شعر صعاليك العصر الجاهلي مغمور اللغة وغريبها وطلاسم الألفاظ في أشعارهم، مما يصعب فهمها أحياناً، وهذا الذي جعل أرباب المعاجم والقواميس أن يعتمدوا على الكثير منها، كما نراه في شعر الصعلوك تأبّط شرّاً إذ يقول: (تأبط شرا، 1984، ص- 115).

على غِرَّةٍ أو جهرَةٍ من مُكانِسٍ **** أطالَ نزالَ الموتِ حتّى تَسَعسَعَا

فنلاحظ تنافر الحروف والكلمات وغموض معنيها فتكاد تعدّ من الطلاسم والأحاجي، ولعلّ بعضهم عمد هذا الأسلوب لعرض العضلات الشعريّة تماشياً مع تمردهم على تقاليد القبيلة الجائر آنذاك، ومعظم شعراء الصعاليك عندهم هذا النمط من اللغة وكأنّهم عمِدوا لذلك النهج والأسلوب ومن أهم الفنون الأخرى هي:

1- شعر الصعلكة شعر بطولي بامتياز، تتفجّر فيه صيحات الفخر والعلو والمجد، نلمس منه أيضاً روح الإباء والإعتزاز بالذات.
2- قَصِرُ انفاس شعراء الصعلكة لأنّ أكثر شعرهم مقطعات، أراجيز، وقصائد قصار بادر الشاعر فيها إلى أصل الموضوع، بلا مقدمة طلليّة أوغزليّة وأحياناً أرتجالاً.
3- وصف الغارات والصحراء والأشباح والجن والوحوش ورسم لوحات جميلة فنيّاً لتلك للبيئة المتوحشة.
4- شعر الصعلكة شعر سخط وغضب على من حرمهم من أبسط حقوقه الإنسانيّة.
5- السرد القصصي ومحاوراتهم القتاليّة وبيان أدوات حروبهم في أسمارهم واجتماعاتهم ونظمها شعراً.

ولو انتقلنا إلى الشعراء العصاليك المعاصرين لرأينا أن أساليبهم تطوّرت كثيراً، فابتعدوا عن التعقيد في التراكيب والغرابة والغمور في اللغة واتخذوا أسلوباً مبسّطاً واضح الدلالة واللغة وبعيداً عن التنافر، كما هو عند الياس فرحات يقول: (الغفيلي، 2003، ص416-).

أغرّبُ خلفَ الرّزقِ وهوَ مُشَرّقٌ **** وأقســمُ لــو شرَّقْتُ راحَ يغرّبُ

حيــاةُ مشقاتٍ ولكن لبعدهـا **** عـن الذل تصفو للأبيّ وتعذِبُ

فحاول الشاعر المعاصر التخلص من معاجم وقواميس الصحراء والفلوات واللغة والألفاظ البدويّة، ويقترب من روح الحضارة والعصرنة الأدبيّة وروح التطوّر، ولكن المضامين لا تختلف كثيراً، فهي مضامين الفقر والبؤس والصعلكة.

الخاتمة.

خلاصة بأهم النتائج.

يمكن للباحث استخلاص ما يلي:

- حاول البحث كشف نبل وعاطفة وإحساس بعض شعراء الصعلكة المعاصرة وذلك من خلال شعرهم مستنداً بنصوصهم الشعريّة، حيث كان لها الأثر الهام في نفس المتلقي.
- دراسة المؤثرات الاجتماعيّة، والثقافيّة، والأدبيّة، والاقتصاديّة، والفكريّة، لقضية الصعلكة، ومن خلال رؤية الشاعر.
- يظهر أن الصعلوك المعاصر يُخاطِر بنفسه من أجل إنجاز أهداف نبيلة وإنسانيّة أهمها، العدالة والمساواة الجتماعيّة، رفض الظلم، رفض إحتكار الثروة بيد بعض الأقليّة، فإنسانيّة الصعلكة لا تميّز بين أفراد المجتمع.
- يبدو أن منشأ الفقر والبؤس والصعلكة عند بعض الشعراء التكاسل والتخاذل، والإهمال، والتقاليد الخرافة أحياناً، كذلك الرأسماليّة العالمية، الجهل، إبعاد النخب والخبراء من الأسباب أيضاً.
- قدّم بعض الأدباء والشعراء الحلول والطرق لمكافحة ظاهرة الفقر والبؤس والصعلكة منها: العلم والاختصاص المناسب، الاقتصاد وعدم التبذير والإسراف، البرمجة الاقتصاديّة والاداريّة.
- استخدم الشاعر أسلوب العتاب واللّوم والتقريع والمبالغة فيه أحياناً، ونلاحظ هذا عند جميع الشعراء الصعالكة، ويمكن أن نلاحظ الهجو وعنف العبارة وللغة في الصعلكة المعاصرة، وهذا يدل على عمق المأساة وفداحة الوضع في العالم المعاصر.
- استخدام المفردات الغامضة والمغمورة في شعر الصعلكة الجاهليّة، ولكن شعراء الصعلكة المعاصرة خاطب الجماهير بلغة حضريّة ساخرة.
- استطاع الكثير من شعراء الصعاليك أن يبتعد عن قصور الأمراء والحكّام والرؤساء، وأخذ الأدب والشعر نحو الشعوب المستضعفة وآلامها والفقراء وبؤسهم ليشاركهم ويشارك المجتمع كأحد أفراده.
- اختلاف شعراء الصعلكة قديماً وحديثاً، ليس في اللغة فقط، بل في الكثير من الأغراض والفنون والأساليب، في الوقت الذي استخدم الجاهلي أبسط الفنون وركّز على أغراض موضوعات خاصة، نجد شعراء العصرنة توسعوا في كل شيء في الشكل والمضمون واللغة والأساليب، ومن أهم أساليبهم السخرية، وقساوة الألفاظ واللغة والهجو وكل الوسائل المتاحة لديهم.
- ترجع ظاهرة الصعلكة إلى التهميش والتميز الطبقي والنظرة الإزدرائيّة، ولكن تهميش الفرد لم يكن للأشخاص بقدر ما هو رفض لأفكارهم وثقافتهم التي لاتنسجم مع رؤية البعض.
- الصعلكة المعاصرة أغلبها من نوع الرفض والتمرّد ضد التعامل التهمّش والقمع، وهي تختلف من عصر إلى آخرومن مكان إلى مكان ومن لغة إلى أخرى ومن ثقافة إلى ثقافة.
- التمرّد على مضمون القصيدة الجاهليّة، وكلمة الشاعر الجاهلي هي بمنزلة وسائل الإعلام حاليّاً، فالشاعر الجاهلي يؤدي وظيفة اجتماعيّة من بلاغ وترهيب وترغيب وذلك من خلال الأغراض الشعريّة كالفخر والمديح والهجاء وغير

ذلك، ولكن شعر الصعلكة تمرّد على الكلمة الموالية للسلطة القبليّة الحاكمة جاهليّاً، والإعلام الموالي لبعض الأنظمة في عصرنة الصعلكة.

لا شك أن عدم الإلتزام بالقوانين والأنظمة بمختلف أنواعها اقتصاديّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً وسلوكيّاً مرفوض، وهذا ما يؤيده ويؤكده العقل والضمير والمنطق الإنساني، ولكن إذا تساوى فيه الجميع ولم يخرج عن القيم البشريّة والإنسانيّة، وهذا الذي يمنع توسّع ظاهرة الصعلكة المعاصرة والمهلكة، والملاحظ أن الجميع في العالم يهتف باسم الفقراء والبؤساء والمساكين، وكل المؤتمرات والاجتماعات تُقد باسمهم وتعطى الأوسمة من أجلهم، ولكن على الأرض الواقع لم يزدادوا إلّا بؤساً وتصعلكاً وفقراً إذن أين تكمن المشكلة.

التوصيات والمقترحات.

1. تقديم الكثير من الدراسات حول القضايا الإنسانيّة كظاهرة الصعلكة لأهميتها في المجتمعات البشريّة.
2. تشجيع الخبراء وأهل الفكر والاختصاص للعمل الجاد من أجل مكافحة مظاهر البؤس والفقر والصعلكة.
3. أهتمام وسائل الإعلام والمناهج التعليميّة بدراسة أسباب ظاهرة الصعلكة المعاصرة.
4. ابعاد القضايا والأمور الاقتصادية عن الحزبيّة والسياسة والتعامل معها كأمور إنسانيّة.
5. عدم استغلاليّة الفقر والأوضاع الاقتصاديّة من قبل الساسة.

المصادر المراجع.

- ابن الورد، عروة، (1998م). الديوان، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ابن قتيبة، (1967م). الشعر والشعراء، القاهرة: دارالمعارف.
- ابن منظور، (د، ت). لسان العرب، بيروت: دارصادر.
- الأسطة، عادل (2008م). أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، دمشق: مؤسسة فلسطين.
- بدوي، عبده (د. ت). الشعر والشعراء في السودان، عالم المعرفة- نورالدين، حسن جعفر (2007م). موسوعة الشعراء الصعاليك، بيروت: رشاد برس.
- البرغوثي، مريد (2013م). الأعمال الشعريّة الكاملة، القاهرة: دار الشروق للطباعة والنشر.
- تأبّط شراً، (1984م). الديوان، بيروت: دارالغرب الإسلامي.
- الجواهري، محمد مهدي (1998م). الجواهري في العيون من أشعاره، دمشق: دار طلاس.
- حرب، جوزف (2002م). كتاب الدمع، بيروت: رياض نجيب الريس.
- الرفاعي، أحمد (2000م). شكل آخر للصعلكة، بيروت: إصدارات كراس.
- الشنفرى، ثابت، (2007م). الدوان ومعه مجموعة لشعر السليك بن السلكة وعمرو بن براقة، إعداد وتقديم طلال حرب، بيروت: دار صادر.
- الضبّي، المفضل (1920م). الديوان، طبع كارلوس يعقوب، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.

- طليمات، غازي والأشقر، عرفان (2007م). الأدب الجاهلي، دمشق: دار الفكر.
- الغفيلي، صالح (2003م). شعراء ماتوا جوعاً، بيروت: موسسة بحسون للنشر والتوزيع.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد (2005م) القاموس المحيط، ط 8، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- القرشي، أبو زيد (1999م). جمهرة أشعار العرب، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- مدونة الكترونية، 12/2 ,2017، بحث مودع، رامز محي الدين، https://www. diwanalarab. com
- المقالح، عبد العزيز (1986م). الديوان، بيروت: دار العودة.
- المنجد في اللغة والأعلام (1973م). بيروت: دار الشروق.
- نور الدين، حسن جعفر (2007م). موسوعة الشعراء الصعاليك، بيروت: رشاد برس.